دور الفلسفة في بناء المفهوم

the role of philosophy in construct the concep

الباحثة: بلعباس وسيلة/ د. مذكور مليكة
كلية العلوم الاجتماعية جامعة حسيبة بن بوعلي الشلف

****

تاريخ الإرسال:2019/06/23 تاريخ القبول: 2019/07/20 تاريخ النشر: 30 /2020/01

الملخص:

لقد أسهمت الفلسفة في بلورة تصورات نقدية في مختلف مجالات المعرفة سواء تعلق الأمر بمعرفة الذات أو العلم، وحتى في مجال الأخلاق وغيرها من المعارف، فمنحت الفكر النقدي حضورا دائما من حيث هو يقترح على الفكر الإنساني انفتاحات في منتهى الكثافة والغنى، ومما لا شك فيه أن الفلسفة قد لعبت دورا كبيرا في مختلف مجالات المعرفة عامة وفي بناء المفاهيم خاصة، فكانت هذه الأخيرة هي المفتاح لأي علم من العلوم و الشغل الشاغل لأي مفكر كان يسعى لضبط أفكاره، وأهميتها في الفلسفة بالتحديد كانت أولوية لازمة، منذ عصور مضت ولازالت لحد الآن تملك هذه الخاصية، فضبط هذه المفاهيم يجعل ما نعمل به سهلا وما نسعى إليه واضحا، قد يبدوا لنا أن هذا الأمر لاشيء مقارنة بمواضيع أخرى شائكة لكن يجب على كل مفكر أن يحسب بدقة أن هذه الأفكار ستصبح مفاهيم. وإذ لم تضبط لن تصل معاني هذه الأفكار إلينا، فمدى فاعلية الفكرة في مدى ضبطنا للمفهوم الذي سيعبر عنها، وهذا ما سعت الفلسفة إلى ضبطه.الإشكال: وعلى ذكر ما سبق يمكن أن نتساءل: **ما هو دور الفلسفة في بناء وتجديد المفهوم؟ وما هي تحديات الفلسفة في إبداعها للمفهوم؟.**

كلمات مفتاحيه: الفلسفة، المفهوم، فن، الإبداع، البناء.

المنارة للاستشارات
ww

Abstract:

Philosophy has contributed to the crystallization of critical perceptions in the various fields of knowledge either it is about self-knowledge or science, and even in the field of ethics and other knowledges,It has given a permanent presence to the critical thought in which it proposes an intensive and rich openness to human thought. and there is no doubt that Philosophy has played a large role in different fields of knowledge in general and in constructing concepts in special, The latter was the key to study any science and the main concern of any thinker was trying to control his ideas, Its importance in philosophy was a specific priority, since ages ago and still have this Property, Because controlling these concepts will easitate what we work on and clarifie what we seek for.It seems to us that this issue in comparison with other complex topics, but each thinker should realise that ideas will become concepts and they were not controled, their meaning would not be understood.So, The effectiveness of the idea depends on the controlled concept that will express this idea, and this is exactly what philosophy sought to control.Problematic.: Considering the information abo ve, we can ask : What is the role of philosophy in the construction and renewal of the concept ? What are the challenges of philosophy throughout its creation of concepts ?.

Keywords : Philosophy, Concept, Art, Création, Construction.

1-باحثة جامعة حسيبة بن بوعلي الشلف، w.belabbas@univ-chlef.dz

2-أستاذة محاضر قسم أ، جامعة حسيبة بن بوعلي الشلف،medkour.malika@yahoo.fr

المنارة للاستشارات

ww

مقدمة

يعتبر المفهوم مفتاح الفهم الصحيح لأي نص من النصوص، أو أي لغة من اللغات، فالمفهوم هو ذلك المفتاح الذي نستطيع النفاذ من خلاله إلى فهم النظريات الفلسفية، حيث يعتبر بالنسبة للفلسفة الطريق الذي يُمَكّنُ المُتعلّم من أن يلج إلى أفكار الفيلسوف ومقاصده، وهنا يكمن دور الفلسفة في بناء المفهوم فالمعروف عن الفلسفة أنّها تختار مفاهيم مضبوطة للتعبير عن أفكارها، لذلك إذا لم يضبط المفهوم فلن يلج المتعلم أو الدارس إلى فهم النص الفلسفي أو ما يرمي إليه صاحب النص، وهو المراد منه في الأساس، لذلك الفلسفة مفاهيمها يجب أن يسودها الانضباط ، فلا يمكن أن ننسى أنّها تحمل في طياتها كثير من المعارف وكل فيلسوف إلا ويعبر عن فكرة وهذه الفكرة تتجسد في المفهوم الصحيح الذي يؤدي إلى بلوغ الهدف الذي يسعى إليه، هنا تكمن أهمية المفهوم، فلولا قيمته في علو أي معرفة لما ركز على ضبطه أهم الفلاسفة خاصة مع الكندي والفارابي والخوارزمي وغيرهم من الفلاسفة الذين أعطوا للمفهوم قيمة كبيرة، حيث جعلوا من المفاهيم مفاتيح بلوغ المعرفة الحقة التي لا تشوبها شائبة، فسوء الفهم يكمن في عدم معرفتنا للمعنى الحقيقي لهذه المفاهيم، فلو استخدم كل فرد المفهوم الذي يناسبه لاختلفت المعرفة وشوشت الأفكار واختلت النصوص، وهذا يؤكد لنا أن قيمة النص من قيمة ضبط مفاهيمه.

وكمثال مفهوم العقل إذا لم يضبط ضبطا صحيحا سوف يؤدي إلى إخلال معنى النص المراد تحليله أو قراءته فمفهوم العقل عند أرسطو مثلا ليس هو عند أفلاطون وما عند أفلاطون ليس هو ما يعنيه المادين مثلا.

ومن هنا يمكن القول إن المفاهيم الفلسفية تحمل مقاصد معينة، وهي تتحول وتتغير معانيها ودلالاتها بتغير هذه المقاصد.

1/ دور وأهمية المفهوم:

يلعب المفهوم دورا كبيراً في بناء الدرس الفلسفي بل وأن القيمة التي يحتلها في أي نص فلسفي تعبر عن نجاح ذلك النص، فضبط المفاهيم هو بمثابة تأطير لذلك النص حتى لا يخرج الدارس له من سياقه وبالتالي يحافظ على المعنى، فيصبح قادرا

المنارة للاستشارات
ww

على التميز بين المفاهيم المحورية والمفاهيم الفرعية، وبين المفاهيم في سياقها الفلسفي والمفاهيم في سياقها العلمي أو الفني أو الأدبي.

إذاً يعد المفهوم أساسا في المعرفة، فهو قاعدتها الرئيسية التي تبنى عليها، ويختلف الناس تبعا لاختلاف مفاهيمهم التي تقف وراء اعتقاداتهم، وبهذا يعد العلم بحقائق الأشياء والوعي بالمفاهيم مدخلا رئيسيا لتضييق دائرة الخلاف أو إزالته، فالمفاهيم كما لها دور في تطور الأمم، لها أيضا خطر على تشويه أفكارها، فهي سلاح ذو حدين.

وعليه كان ولا زال المفهوم في الفلسفة مصطلح مهم حيث حسم دولوز ذلك في قوله إنّ الفلسفة هي :"فن صياغة وإنشاء وصنع المفاهيم"[1]، والإبداع سبب من أسباب تطور أي مجتمع حيث فيه دعوة للتحرر، وارتباطه بالمفهوم في الفلسفة كان لديه صدى كبير في منعطف الفكر، أما عن تعريف الفلسفة بأنّها فن إبداع المفاهيم فهذا يؤكد لنا دور الفلسفة في بناء المفهوم" إذ أنّها لم تكن مفردات حقيقية، بقدر ما هي أدوات أو مفاتيح تتعامل مع أجواء الحقيقة"[2].حتى وإن عجزت الفلسفة من الوصول للحقيقة أو تجاوزها ليس ذلك إلا إساءة في فهمها، وسقوط المذاهب أو الإيديولوجيات لا يعني سوى"أنّ مفاهيم معينة عاشت وكانت لها أن تموت في النهاية، أمّا إبداع المفاهيم فهو الينبوع المتدفق دائما، حتى أصبح للعلم اختصاص في إبداع مفاهيمه، وصار للفنون ابتكار الأفكار الجمالية، فإنّه يتبقى للفلسفة إبداع المفاهيم كمفردات أولا، ولا يضير الفلسفة أن تعتدي التجارة والتسويق والمعلوماتية على مصطلح المفهوم، كوسيلة لترويج بضائعها"[3].

إذن جيل دولوز يعطي تعريفا واضحا بأنّ الفلسفة هي إبداع المفاهيم، فالفلسفة لها دورها الكبير في بناء مفاهيم جديدة تضفي على المعرفة نوعا من الانضباط والتفتح في نفس الوقت، وكأن الفلسفة بعملها في مختلف مجالات المعرفة تضفي الصيرورة و الليونة للمفاهيم،وهذا يخدم الفلسفة خاصة والعلم على حد سواء فابتكار مفهوم جديد يفتح آفاقا واسعة للتجديد والتطور في المعاني، وهذا ما يبحث عنه أي دارس للفلسفة، يبحث عن مفاهيم تفتح له مجالا للإبداع تضبطه وتشده إلى

[1] دولوز جيل، غتاري فليكس، **ماهي الفلسفة**، تر: صفدي مطاع، مركز الإنماء القومي، بيروت، ط.1، 1997، ص5.

[2] المرجع نفسه، ص6.

[3] دولوز جيل، غتاري فليكس، **ماهي الفلسفة**،المرجع السابق ذكره، ص7.

المنارة للاستشارات
ww

الطريق الصحيح، وبالتالي إلى المعرفة الصحيحة التي هي الهدف الحقيقي:" فالفلسفي عالم، رياضيٌّ، فيزيائي، ومبدع فنان، وروائي ورسام وموسيقي، ولكنه دائما يمارس ذلك بطريقة مختلفة، أصعب المهمات هو الإتيان بالآثار الإبداعية مصحوبة دائما بأنظمتها المفهومية، وهنا تبلغ ممارسة إبداع المفاهيم كأفاهيم، دورتها الإبداعية هي نفسها"[1].

مما لاشك فيه الآن أنّ للفلسفة دور كبير في بناء المفاهيم وهذا ما شهدناه مع دولوز فإذا عرف جيل دولوز الفلسفة بـ**"فن إبداع المفاهيم"**، والفيلسوف **"من أبدع مفاهيم جديدة "**فالأمر ينطبق عليه شخصيا، فقد ارتبطت باسمه لائحة طويلة من المفاهيم الجديدة تميزت بعدم ظهورها دفعة واحدة، وسعى دولوز دوما وفي كل مؤلف من مؤلفاته إلى ابتكار مفاهيم جديدة، بل إلى التخلي عن بعضها ، وإعادة النظر في البعض الآخر والتجديد فيها، ويمكن القول إنّ بعض المفاهيم التي شدد عليها دولوز، مثل "الجدة"، و"الصيرورة"و" الاختلاف"، تنطبق على استعماله للمفاهيم التي لا تتوقف عن التجدد والصيرورة والاختلاف عن نفسها، بهذه المفاهيم عينها أعاد إحياء مفاهيم قديمة بدت له راهنة"[2].

إذن كان دولوز أحد الفلاسفة الذين جعلوا للمفهوم دورا فعالا في نهوض المعرفة والتقدم الذي تصل إليه أية أمة من خلال ضبط مفاهيمها وتجديدها،حين رأى أنّ :" المفهوم لا يعطي، بل يبدع، أو عليه أن يبدع، ويتعلق إبداع المفهوم بنشاط إبداعي حر يطرح نفسه في ذاته بشكل مستقل، وبالضرورة، والأكثر ذاتية، هو الأكثر موضوعية"[3]. وهنا نحسم الأمر في أن للمفهوم دور إبداعي وأن دولوز قد أدى دوره في إدخال مفاهيم جديدة للفلسفة، و ليس هذا فحسب بل أعاد إحياء مفاهيم قديمة.

2/ أزمة المفاهيم وضبابية الفكر:

إن غموض أفكارنا ليس إلا عائقا يمنعنا من التحرر والبحث عن منهج يتكيف وطبيعة أفكارنا، فكلما سعى الإنسان إلى بلورة أفكاره والانطلاق بها من الظلام إلى

---

[1] المرجع نفسه، ص12.

[2] دولوز جيل، الاختلاف والتكرار، تر: وفاء شعبان، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، بيروت، أبريل 2009، ص15.

[3] المرجع نفسه، ص15.

المنارة للاستشارات
ww

النور،كلما اتسعت الهوة بينه وبين خروج أفكاره، ويرجع ذلك إلى تنوع أفكارنا تارة وإلى قلة حيلتنا تارة أخرى، وفي هذا البحث محاولة لشرح هذا الغموض، لأن فهم أفكارنا مرتبط بطريقة إيصالها، فكل فكر يجسد مفهوما خاصا به، يبحث عن السبيل للوصول إلى الحقيقة حيث "من بدائيات سلامة التفكير التحرر من الانطواء على الذات، والتفتح على حوار الآخر. الحقيقة المطلقة لا يملكها الفرد المفرد، والحوار سبيل للبحث عن الحقيقة، ولم تنشأ الأفكار والنظريات والحضارات ولم تزدهر جميعها إلا بالحوار، لن يستقيم حوار دون تحديد المفاهيم حتى يكون حوار السامعين المفكرين، لا حوار الصم المنغلقين"[1]، ومثال ذلك نجده عند المفكرين الإغريق خاصة مع أفلاطون ومحاوراته*[2]، حيث كان حواره هو السبيل للوصول إلى المعرفة.

وهو ما يجعلنا أمام ضرورة تحديد مفاهيمنا حتى نصل إلى حوار في المستوى المطلوب "فلا نذهب بعيدا فنحن في الوطن العربي نتحدث عن قضايا أساسية دون أن نتفق على مفهوم واضح في كل منها"[3]وهذا ما يؤدي إلى ضبابية الفكر، وأزمة المفهوم وهو ما من شأنه أن يقود إلى التخلف في التفكير الذي قد يكون "ناتجا من انعدام الدقة اللغوية في الكلمات الفضفاضة التي يستعملها بعضهم دون أن يعني اللفظ الدال بدقة على المدلول"[4].

وإذا كان هذا الكلام صحيح، فيستحيل أن يكون المفهوم دقيقا واللغة التي تعبر عنه غير واضحة، إن الفلسفة هنا بحد ذاتها تعبر عن أفكار اتجاهات ومذاهب كثيرة "والحق أن هناك اتجاهات ومذاهب كثيرة تهدف إلى تبيان ماهية الفلسفة ووظيفتها،

---

[1] غلاب عبد الكريم، أزمة المفاهيم وانحراف التفكير، مركز دراسات الوحدة العربية، سلسلة الثقافة القومية(33)، بيروت، ط.1، 1998،ص8.

* محاورات أفلاطون: يقدم لنا أفلاطون في محاوراته أستاذه سقراط في ثوب المعلم الذي يحاول بما أوتي من قوة الجدل أن يوقظ الناس من سباتهم، فهو يحاول أن يثير فيهم حب البحث في معاني الأحكام، وقد أظهر في كتابه الجمهورية حوارا سقراطيا تحدث فيه عن العدالة والنظام وطبيعة الدولة العادلة....الخ. انظر(أفلاطون، الجمهورية، تر: حنا خباز، المطبعة المصرية، القاهرة، د.ط، 1929).

[3] غلاب عبد الكريم، المرجع السابق ذكره، ص9.

[4] المرجع نفسه، ص9.

المنارة للاستشارات
ww

وأبرز هذه الاتجاهات في عصرنا يسمى"بالفلسفة التحليلية"ويأتي في طليعة فلاسفة هذا الاتجاه جورج مور وراسل وفتجنشتين وأوستن ورايل وغيرهم. ومهمة الفلسفة عند هؤلاء الفلاسفة توضيح المفاهيم والأفكار عن طريق تحليل العبارات التي تصاغ فيها هذه المفاهيم وقد يكون التحليل منطقيا خالصا أو فلسفيا أو لغويا"[1]. ومن هنا كان تحليل القضايا لتوضيحها وتنقيح المفاهيم لتثبيتها وتدقيقها. وهذا ما يساعد الفلسفة في بنائها لمفاهيمها، وعلى هذا الأساس كان توضيح المفاهيم ضرورة معرفية.

3/ توضيح المفاهيم ضرورة معرفية:

إنَّ أي بناء فكري يتطلب ضبطا للمفهوم، فما الذي نعنيه بالمفهوم؟ إن المفهوم "بمعناه المنطقي هو مجموع الصفات أو الخصائص الموضحة لمعنى كلي، وعلى أساسه يقوم التعريف والتصنيف ويقابل الماصدق Extension، ويطلق أيضا على مجموع الصفات المشتركة بين الأفراد، صنف أو نوع واحد أو مجموع الصفات التي يتكون منها.أما فلسفيا فهو معرفة الشيء على وجهه، ومنه مشكلة الفهم"[2]. ونحن هنا سننظر إلى المفهوم من جهة فلسفية لأن التعريف المنطقي يخلو من المشاعر والأحاسيس وهذا هو الأمر الذي لا نستطيع الاستغناء عنه في عملية التفكير إن لم يكن بإرادتنا فرغما عنا، ونحن بصدد عرض بعض المفاهيم حتى نرى كيف تؤثر إما إيجابا أو سلبا في عملية المعرفة.

4/ بعض المصطلحات والمفاهيم الفلسفية:

بما أنّ الفلسفة بحاجة ماسة إلى ضبط مفاهيمها فذلك طبعا يعود إلى مفاهيم المعرفة التي تتأسس عليها الفلسفة والتي لا تباعدها بتاتا وكأنّها تعبر عن كيانها،فهي مجموعة المفاهيم الفلسفية التي ترتبط بالمعرفة البشرية، وتعتمد على المعلومات، والدراسات، والاكتشافات التي قام بها الإنسان، وصارت جزءاً من حياتهِ، ومنها:

- **مفهوم البداهة(Axiome) والشك (Doute):**

[1] إسماعيل صلاح، دراسة المفاهيم من زاوية فلسفية، إسلامية المعرفة، العدد الثامن، السنة الثانية، ذو الحجة 1417هـ/ أبريل 1997، ص8.

[2] مذكور إبراهيم، المعجم الفلسفي، الهيئة العامة لشؤون المطابع الآميرية، القاهرة، د.ط، 1983، ص198.

المنارة للاستشارات
ww

من المفاهيم الأكثر جدلا البداهة (Axiome)، فهي الفكرة التي تتميّز بأنها واضحة، ولا يوجد أي مجال للشك فيها، ولا تحتاج لاستخدام البراهين للتأكد من صحتها وبمعنى أوضح هي "قضية أولية صادقة بذاتها يجزم بها العقل من دون برهان، وهي أساس العلم"[1]، لكن مع الوقت اجتاح هذه البداهة الشك وهذا ما نجده في الرياضيات وأزمة الأسس كمثال، أمّا مفهوم الشك (Doute) فهو وضع مجموعة من الأسئلة حول شيء ما للتأكّد من حقيقتها، وهو واجب استخدامه في أي معرفة نحاول الوصول إليها فإذا صمدت في وجه الشك اشتهرت وكوفئت بالنجاح، فهو"كحالة الفكر الذي يطرح سؤال الاستعلام عما إذا كان قول ما صحيحا أو فاسدا، والذي لا يجيب عنه حاليا إما لأنه يعجز عن ذلك، وإما لأنه لا يرغب في فحص وجه المسألة- ما لها وما عليها- وإما لأنّه يؤجل الرد، وإما لأنه يحجم عنه"[2] ، وكما نرى الشك له طرق متفرعة فهو مفهوم واحد ولكنه يحمل في طياته معاني كثيرة، وهذا ما جعل للفلسفة دور في بناء المفاهيم و تنقيحها، لتأسيس فلسفة صحيحة تتسم بالاستمرارية، ومن مفهوم الشك نستطيع أن نلقي الضوء على فهم ديكارت مثلا عن المادة حيث يقول في كتابه المبادئ "ولكن مع أن كل صفة تكفي لتعريفنا بالجوهر إلا أن في كل جوهر صفة تقوم طبيعته وماهيته وتعتمد عليها جميع الصفات الأخرى،وأعني بذلك أن الامتداد في الطول والعرض والعمق هو المقوم لطبيعة الجوهر الجسماني ... لأن كل ما يستطاع نسبته إلى الجسم يفترض وجود الامتداد من قبل، ولا يعدو أن يكون اعتمادا على ما هو ممتد... وعلى ذلك فنحن مثلا لا نستطيع أن نتصور شكلا ما لم يكن في شيء ممتد، ولا حركة إلا في فضاء هو ممتد...بالعكس نستطيع أن نتصور الامتداد حركة".[3]وعلى هذا نستطيع أن نصل إلى أن مفهوم المادة مرتبط عند ديكارت بالامتداد الذي جعله الصفة الأساسية وما يليه من صفات أخرى مثل الحركة والثقل فهي صفات ثانوية.

وعليه إذا أردنا فهما صحيحا لبنية أي مفهوم فعلينا أن نحدد عناصره الأساسية ومن ثم العناصر الثانوية حتى لا يلتبس علينا الفهم، فمدى أهمية العملية التحليلية

[1] صليبا جميل، المعجم الفلسفي، ج1، دار الكتاب اللبناني، بيروت، د.ط، 1982، ص202.

[2] لالاند أندري، موسوعة لالاند الفلسفية، المجلد1، منشورات عويدات، بيروت، ط2، 2001، ص301.

[3] ديكارت رينيه،مبادئ الفلسفة، تر: عثمان أمين، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، د.ط، 1960، ص149.

المنارة للاستشارات
ww

تكمن في الإدراك الصحيح لها، وفي المعرفة التي تستند على خطوات صحيحة وبالتالي نتائج دقيقة وهذا ما سنصل إليه، و ذلك عن طريق توضيح مفهوم العقل.

- **مفهوم العقل (Raison):**

يعتبر من أهم المفاهيم جدلا، فلو درسناه دراسة سطحية أو عرضية سنجد نزاع حول إمكانية وجوده أو عدمه، ولكن إذا خضعت بنية هذا المفهوم إلى التحليل فهنا سنتوقف عند انتماء هذا المفهوم ، ونطرح السؤال الآتي: إلى أين ينتمي هذا المفهوم؟ وفي أي مجال دراسة نحن بصدد استعماله؟ و الإجابة عن هذا السؤال هي التي ستوضح لنا مفهوم العقل المراد الوصول إليه، وذلك لاجتناب اللبس وتفادي الاختلاف فيه، كهذا التعريف مثلا كانطلاقة في البحث: إن العقل هو المُكوّن الرئيسي للمعرفة البشرية، ويَستخدمه الإنسان من أجل التفكير للوصول إلى نتائج منطقية حول موضوع ما، فهو "يطلق على أسمى صور العمليات الذهنية بعامة، وعلى البرهنة والاستدلال بخاصة"[1].

- **الحدس (Intuition):**

يعتبر الحدس من المفاهيم المهمة في الفلسفة والعديد من الاكتشافات سواء العلمية أو الفلسفية تعود إليه فهو توقع شيء ما، بناءً على معرفة مسبقة بهِ، أو بالعوامل التي تؤدّي إلى حدوثهِ، وبتعبير أدق " المعرفة الحاصلة بالذهن دفعة واحدة من غير نظر أو استدلال عقلي"[2] وقد تزاول هذا المفهوم سواء مع قدماء الفلاسفة أو مع فلاسفة هذا العصر.

- **البنية (Structure):**

[1] مذكور إبراهيم، المرجع السابق ذكره، ص120.
[2] صليبا جميل، المرجع السابق ذكره، ص453.

المنارة للاستشارات
ww

من أهم المفاهيم التي تضارب حولها العديد من الفلاسفة، وولع بها الكثير البنية حيث" أقحموا كلمة "بنية" _في مناسبة وغير مناسبة_ حتى أصبح في الكثير من الاستعمالات المعاصرة لهذه الكلمة "ايهام" أو "تعمية" وكأن فيها من "السحر" أكثر مما فيها من "علم"، أو كأن هؤلاء الأدعياء يجهلون تماما أن "البنية" لا "توجد"بالفعل في صميم "الأشياء"، وإنما هي مجرد "فرض" يستخدمه العلماء كأداة ناجعة للبحث"[1].وهنا اختلاف وتضارب حول أهمية المفهوم، فالبنية كنموذج " أبرز مميزاتها أنها لا تكون عاملا فعالا إلا بقدر ما تكون خلف الوعي البشري، يجوز إذن أن ننعت ظاهرة اجتماعية بأنها نظيمة دون أن نضطر إلى الاعتراف بوجود بنية معينة هي أصل النظام"[2].وهذا ما سيجنبنا اللبس والاختلاف.

- **المنهج (Méthode):**

وكما ذكرنا عدة نماذج نذكر كذلك مفهوما لطالما ذاع وانتشر بين الفلاسفة وهو المنهج وهو من أشد المفاهيم شهرة، فقط اختلط هذا المفهوم بمفاهيم أخرى وأصبح من الواجب على الفلسفة أن تفرق بين المنهج وبين ما سمي بالأسلوب«فلا يحق لنا أن نخلط بين المنهج والأسلوب، نستطيع مثلا أن نختار بين أسلوب هذه المدرسة الاقتصادية أو تلك، ولكن هناك منهج أساسي واحد وهو الأصل في علم الاقتصاد، وعلى هذا لا يوجد خيار:" إما العلم وإما الرأي"»[3]، هذا يحسم الأمر بضرورة الفصل بين المنهج والأسلوب فكل وخاصيته وكل مفهوم ودوره الذي يتماشى مع أغراضه.

وكما رأينا لعب المفهوم دورا أساسيا في بلورة الحقيقة، ومن أهم المفاهيم التي درستها الفلسفة وكان لها دور فيها: "مفهوم العقل"، "مفهوم الشك"، "الحدس"، "البنية"، "المنهج"....، وغيرها من المفاهيم ولا يسعنا أن نقوم بدراسة جميع المفاهيم في هذا البحث فأخذنا أمثلة حتى نستطيع أن نوصل قصدنا الذي هو معرفة المفاهيم ودور الفلسفة في بناءها وكيف استطاعت أن تبدع لنفسها مفاهيم، وكيف استطاع كل مفكر وفيلسوف وضع قالب معين خاص به حول كل مفهوم، فكما نرى رغم

[1] إبراهيم زكريا، مشكلة البنية أو أضواء على البنيوية، مكتبة مصر، الإسكندرية، د.ط، د.س، ص 12.
[2] العروي عبد الله، مفهوم العقل مقالات في المفارقات، المرجع السابق ذكره، ص13.
[3] المرجع نفسه، ص12.

المنارة للاستشارات
ww

وحدة الدال إلا أن مدلولاته كثيرة، وتختلف باختلاف نسق كل فيلسوف أراد استعمال دال مشترك وتوظيفه بمدلول مختلف تماما عن مدلولات فلاسفة آخرين.

وعليه المفهوم قد لعب دوره في الفلسفة بطرق مختلفة، لكنه جعل منها مكانا يرحب بالمفاهيم وبالأحرى أصبحت الفلسفة وطن المفاهيم، وكل الاختلافات حول المفهوم الواحد ما هي إلا اختلافات في نسق ما أو بيئة ما، واستعمالا مختلفا يختلف من علم لآخر، وكل هذا التشبع والاختلاف هو ما يوسع من آفاق الفلسفة فكما عرفت بأم العلوم أصبحت الفلسفة تحتضن المفاهيم وتنقحها وتصيغها بالطريقة التي يريدها كل فيلسوف وعلى حسب الغاية المنشودة منها.

5/ تحديات الفلسفة في طريق إبداعها للمفاهيم:

لقد استطاعت الفلسفة أن تبدع في مجال المفاهيم حتى تخرج من قوقعة التأثر والتأثير وإحداث تغير لأن "تعرض عقولنا باستمرار لتدفق أفكار غيرنا لابد أن يحصر كافة أفكارنا، ويكبح انطلاقتها ويؤدي في النهاية إلى شل قوة تفكيرنا، إن ميل معظم العلماء للقراءة هو نوع من امتصاص الفراغ وذلك لأن إجداب عقولهم يدفعهم إلى سحب أفكار الآخرين رغما عنهم ومن الخطر أن نقرأ عن موضوع قبل أن نكون فكرنا فيه بأنفسنا...فنحن عندما نقرأ لغيرنا يكون غيرنا يفكر لنا، ولا نكون حينئذ إلا معيدين لأفكار غيرنا، لذلك الشخص يفقد تدريجيا مقدرته على التفكير إذا قضى أيامه في قراءة غيره"[1]،من هنا نستطيع أن نقول إن المبدع حتى في مجال المفهوم، إذا أخذ في التأثر بغيره ولعب دور المعلق فقط، لن يستطيع أن يجلب مفاهيم جديدة، تنهض بالفكر إلى التقدم والتطور، بل يدخل في حلقة التكرار حتى تفقد المفاهيم قيمتها، أما المبدع الحقيقي فهو من يقرأ لغير لهجته حيث يجد ضالته التي يبحث عنها ليكتشف مفاهيم أوسع، وقراءته للسابقين ليس تأثرا بهم فقط بل تكون قراءة من أجل إحداث انطلاقة صحيحة من أجل التغيير وهو المراد إحداثه، انطلاقة لإحداث الاختلاف وطريقا لإبداع مفاهيم جديدة، والخروج من أزمة المفاهيم، التي هي نتيجة لقبول المفاهيم القديمة واستعمالها في غير زمانها، فإذا أخذ المفهوم علواً في زمن ما

[1] ديورانت ول، قصة الفلسفة من أفلاطون إلى جون ديوي (حياة وأعاظم رجال الفلسفة في العلم)، تر: المشعشع فتح الله مُحَمَّد، منشورات مكتبة المعارف، بيروت، ط.1988،6، ص226.

المنارة للاستشارات
ww

فلأنه كان في ذلك الوقت جديدا ومبتكر، أما الآن يجب أن تكون هنا ثورة ليس على أفكار غيرنا فقط بل حتى على أفكارنا حتى نستطيع أن ننهض بأمة نحن ممثليها.

ذلك لأن الاكتفاء بالقبول غير مطلوب، إذا أردنا الخروج من هذه الأزمة، فعلى أي دارس أن يلعب دور الناقد لأن النقد هو عملية تجعلنا لا نقبل بأفكار غيرنا بسهولة دون أن ننقحها، وحتى أفكارنا التي وصلنا إليها سيأتي وقت وتترك فيه مجالا لغيرها من المفاهيم التي تجعل المعرفة أكثر انتشارا وشمولية، وهذا دليل على أنّ النقد يكون حتى على مستوى المفهوم، والإبداع يكون على مستوى الفرد والجماعة على حد سواء.

إذن للنقد أهمية كبيرة، ذلك لأنه يوجه دفة الإبداع ويساعده على النمو والازدهار والتقدم، ويضيء السبيل للمبدعين المبتدئين والكتاب الكبار. كما يقوم النقد بوظيفة التقويم والتقييم ويميز مواطن الجمال ومواطن القبح، ويفرز الجودة من الرداءة، والطبع من التكلف، والتصنيع والتصنع، ولذلك يمكن القول إن ببناء مفاهيم جديدة والخروج من الأزمة يتطلب استعمال النقد كضرورة، لأنه يجلي لنا طرائق التجديد و يبعدنا عن التقليد.

إذن تعدّ الفلسفة أسلوباً من الأساليب الفكرية، وترتبط بها العديد من الدراسات والآراء، وهذا ما أدّى إلى جعلها تجمع العديد من المفاهيم والمصطلحات، التي يُطلق عليها مُسمّى مفاهيم فلسفية. ولقد أكد الفيلسوف الفرنسي دولوز في تعريفه المذكور سابقا بأنّ الفلسفة فنٌّ يساهم بابتكار المفاهيم، وبنى تعريفه هذا على فكرة أنّ الفلاسفة يهتمّون بدراسة الطبيعة المحيطة بهم، والتي يحصلون منها على مجموعة من الأفكار، والمعارف المرتبطة بفكر فلسفي معين .

لذلك للفلسفة دور مهم في بناء المفاهيم الفلسفية وذلك يظهر أهميتها، حيث تُعتبر الأفكار الفلسفية المصدر الأول للمفاهيم الفلسفية، ومن أهمّ العوامل المكونة لها، إذ يعدّ من الصعب فهم الدراسات والأبحاث الفلسفية، دون معرفة معاني المفاهيم الخاصة بها، ومن هنا تُستنتج أهميّة المفاهيم الفلسفية، لأنها تساعد على تحليل نصوص الفلسفة، وتجعل دراستها سهلةً من قبل الأفراد الذين يدرسون الفلسفة، سواءً من باب التعلّم أو التعرّف على فكرٍ فلسفيٍّ مُعيّن، ولكن ليس بالضرورة أن تتشابه معاني كافة المفاهيم الفلسفية، أي إنّ المفهوم الفلسفي الواحد قد يحمل أكثر من معنى، ولكنه يَعتمد على خلاصة واحدة وثابتة تظلّ متداولةً عبر

المنارة للاستشارات
ww

تاريخ الفلسفة، لينتقل من المفهوم القديم إلى المفهوم المعاصر في حال احتياج المصطلح لمجموعةٍ من التعديلات التي تتناسب مع تطور الفكر الفلسفي.

الخاتمة

لقد ساهمت الفلسفة في بناء العديد من المفاهيم منها ما عالجناها في هذا المقال وأخرى لم نعالجها، لكن هذا لا يمنع اتصافها بالأهمية، حيث لا يمكننا أن نتطرق إلى جميع المفاهيم التي ساعدت الفلسفة في بلورتها وبنائها،لكن هذا لا يمنعنا من القول إن الفلسفة لا تقبل جميع المفاهيم بسهولة إن لم يتم تنقيحها ودراستها دراسة ممحصة، فالمفهوم إذا لم يتطابق مع الواقع فلا جدوى منه أو بالأحرى يكون غير فعال، فالفاعلية تكمن في وجوده واقعيا حتى نستطيع استعماله استعمالا يناسبه، صحيح يوجد العديد من المفاهيم لم نجد لها معنى حقيقي إذ يكثر استعمالها لكن في غير مكانها المناسب، قد نرجع السبب إلى اختلاف المفهوم من بلد لآخر وهذا من المنطق إن يرجع إلى الخلفية الثقافية والى مدى تطور تلك أمة المستعمل فيها ذلك المفهوم، قد يلقى المفهوم استجابة في بيئة ما ويكون فعالا وقد لا يلقى نفس المفهوم استجابة في بيئة أخرى، من هنا يتبادر في أذهاننا السؤال الآتي هل يكمن نجاح المفهوم في الإبداع أو في التقليد؟ لماذا لا ينجح نفس المفهوم في غير أماكن موحدة؟ وهل المفهوم مرتبط بثقافة البلد أو هو الذي يفرض على تلك الثقافة الاعتراف به والمثول إليه؟ أيضا نستطيع أن نقول لماذا لا نبدع مفاهيم تتماشى مع الواقع، بدلا من نأتي بمفاهيم ونفرضها على الواقع ليتصارع للتعايش معها؟.

قائمة المصادر و المراجع:

المصادر:

1. أفلاطون، **الجمهورية**، تر: حنا خباز، المطبعة المصرية، القاهرة، د.ط، 1929.
2. دولوز جيل، غتّاري فليكس، **ماهي الفلسفة**، تر: صفدي مطاع، مركز الإنماء القومي، بيروت، ط.1، 1997، ص5.
3. دولوز جيل، **الاختلاف والتكرار**، تر: وفاء شعبان، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، بيروت، أبريل 2009، ص15.

المنارة للاستشارات

ww

4. ديورانت ول، **قصة الفلسفة من أفلاطون إلى جون ديوي** (حياة وأعاظم رجال الفلسفة في العلم)، تر: المشعشع فتح الله محمد، منشورات مكتبة المعارف، بيروت، ط.1988،6، ص226.

المراجع:

1 إبراهيم زكريا، **مشكلة البنية أو أضواء على البنيوية**، مكتبة مصر، الإسكندرية، د.ط، د.س، ص 12.

2 العروي عبد الله، **مفهوم العقل مقالات في المفارقات**، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء،ط3، 2001، ص12.

الموسوعات والمعاجم:

1 صليبا جميل، **المعجم الفلسفي**، ج1، دار الكتاب اللبناني، بيروت، د.ط، 1982، ص453.

2 لالاند أندري، **موسوعة لالاند الفلسفية**، المجلد1، منشورات عويدات، بيروت، ط2، 2001، ص301.

3 مذكور إبراهيم، **المعجم الفلسفي**، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، د.ط، 1983، ص120.

المجلات:

1 صلاح إسماعيل، **دراسة المفاهيم من زاوية فلسفية**، مجلة إسلامية المعرفة، العدد الثامن، السنة الثانية، ذو الحجة 1417هـ/ أبريل 1997.

2 عبد الكريم غلاب، **أزمة المفاهيم و انحراف التفكير**، مركز دراسات الوحدة العربية، سلسلة الثقافة القومية(33)، بيروت، ط.1، 1998.

المنارة للاستشارات

ww